سلسلة المعارك و الغزوات
(٥)



معركة اليرموك

إعداد

أحمد عبد الرازق البكرى

رسوم

ماهر عبد القادر





أراد الخليفةُ أبو بكرٍ الصدِّيق أن يؤمِّن حدودَ الدولةِ الإسلاميةِ من عدوانِ الروم ، وسعيًا إلى نشرِ الدعوةِ الإسلاميةِ خارجَ الجزيرةِ العربيةِ بعد ما فرغَ من حروبِ المرتدينَ والانتصارِ عليهم ، فجمعَ صحابةَ رسولِ اللهِ ﷺ ليعرضَ عليهم أمر تجهيزِ جيوشٍ يفتحُ بها بلادَ الشامِ ليأمنَ عدمَ اعتداءِ الرومِ على الدولةِ الإسلامية .

وافق صحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ على رأى أبى بكرٍ فجهزَ أربعةَ جيوشٍ ، كانَ على رأسِ الجيشِ الأولِ عمرو بنُ العاص ووجَّهه الخليفةُ إلى فلسطينَ ، وقادَ الجيشَ الثانى يزيدُ بنُ أبى سفيان ، واتجه بهِ إلى دمشقَ ، والجيشُ الثالثُ كان قائدهُ شرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن ، والجيشُ الرابعُ قادهُ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ الذى اتجه بهِ إلى حمص،

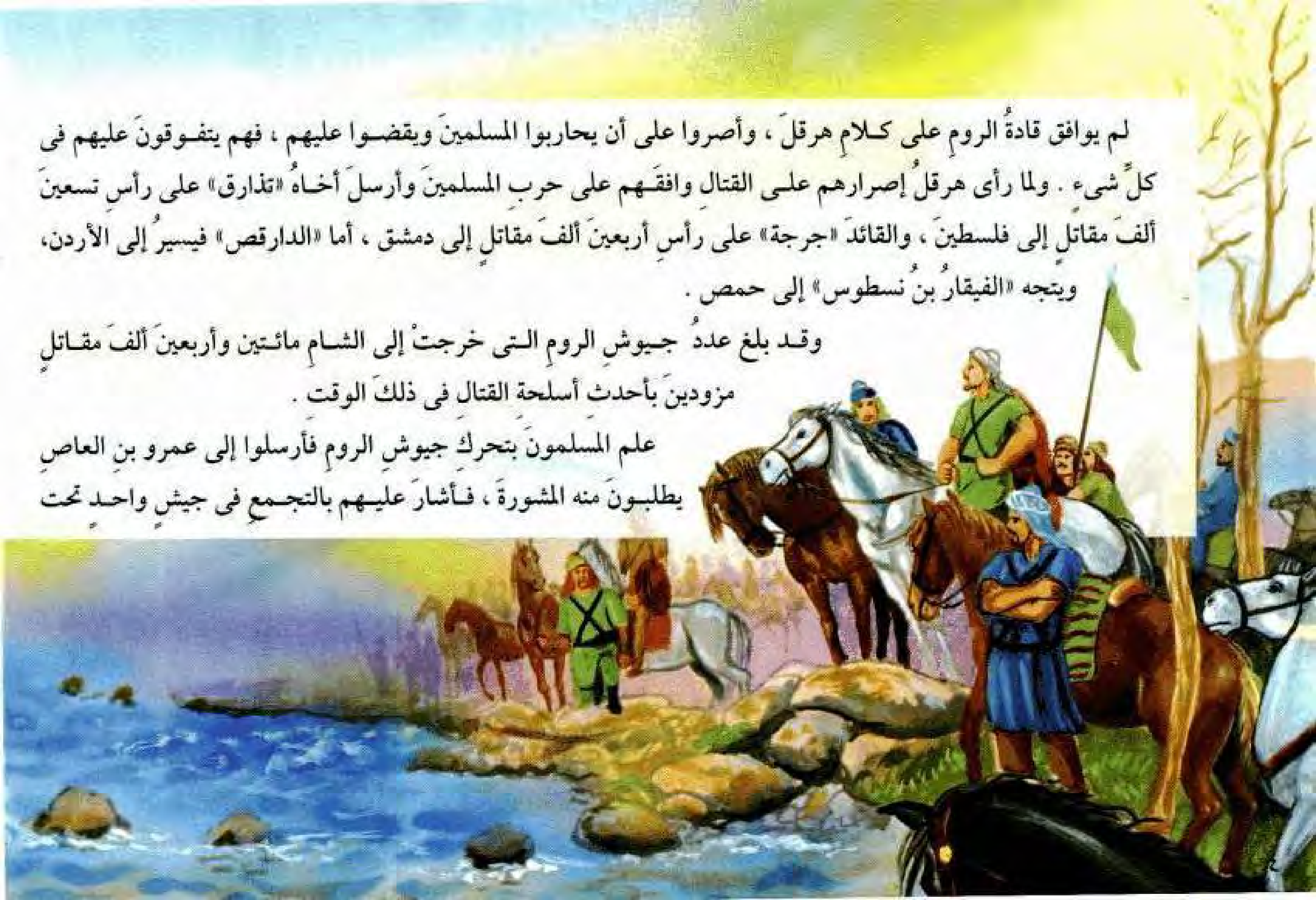


وكان خلفَ هذه الجيوشِ عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ على رأسِ جيشٍ صغيرٍ ليؤمِّنَ ظهرَ الجيوشِ، أو يهبَّ لنجدةِ أحدِهم .

وسارت الجيوشُ على بركةِ اللهِ ووصلت إلى المواقعِ التى حدَّدَها لهم الخليفةُ .

علم هرقلُ - ملكُ الرومِ - بتحركِ جيوشِ المسلمينَ نحو الشامِ فى جموعٍ كثيرةٍ وأنهم موزعون فى أكثرِ من مكانٍ ، فجمع جنودَهُ وقال لهم :

أرى ألا تقاتلوا هؤلاء القومَ وأن تصالحوهم ، فإن تعطوهم نصفَ ما تخرجُهُ أرضُ الشامِ وتأخذوا نصفَهُ خيرٌ لكم من أن يغلبوكُم على الشامِ كله ويشاركوكم فى جبالِ الرومِ .



لم يوافق قادةُ الرومِ على كـلامِ هرقلَ ، وأصروا على أن يحاربوا المسلمينَ ويقضـوا عليهم ، فهم يتفـوقونَ عليهم فى كلِّ شيء . ولما رأى هرقلُ إصرارهم علـى القتالِ وافقَـهم على حربِ المسلمينَ وأرسلَ أخـاهُ «تذارق» على رأسِ تسعينَ ألفَ مقاتلٍ إلى فلسطينَ ، والقائدَ «جرجة» على رأسِ أربعينَ ألفَ مقاتلٍ إلى دمشق ، أما «الدارقص» فيسيرُ إلى الأردن، ويتجه «الفيقارُ بنُ نسطوس» إلى حمص .

وقـد بلغ عددُ جيوشِ الرومِ الـتى خرجتْ إلى الشـامِ مائتين وأربعينَ ألفَ مقـاتلٍ مزودينَ بأحدثِ أسلحةِ القتالِ فى ذلكَ الوقت .

علم المسلمونَ بتحركِ جيوشِ الرومِ فأرسلوا إلى عمرو بنِ العاصِ يطلبـونَ منه المشورةَ ، فـأشارَ عليـهم بالتجمعِ فى جيشٍ واحـدٍ تحت

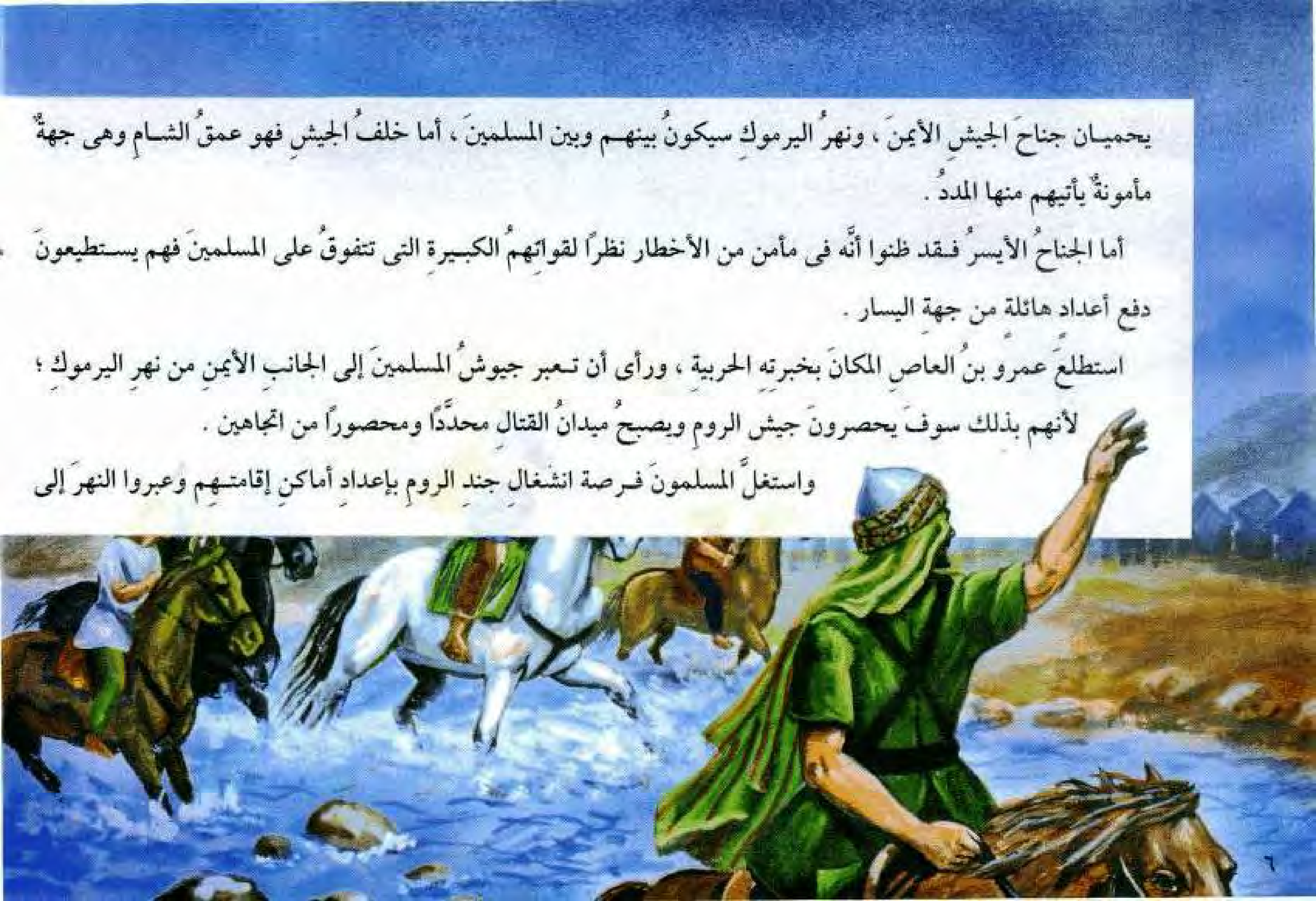


راية واحدة حتى يستطيعوا مواجهةَ جيوشِ الرومِ فوافقَ القادةُ وأرسلوا إلى أبى بكرٍ الصديقِ يطلبونَ مشورته ، فأرسلَ إليهم بمثلِ رأى عمرو بنِ العاصِ ، فاجتمعت الجيوشُ الإسلاميةُ على الجانبِ الأيسرِ لنهرِ اليرموكِ على طريقِ دمشق .

علم هرقلُ أنَّ جيوشَ المسلمينَ قد تجمعت فى جيشٍ واحدٍ فأرسلَ إلى قادةِ جيوشهِ الأربعةِ ، وأمرهم بالسيرِ إلى حربِ المسلمينَ حيث يوجدونَ على نهرِ اليرموكِ .

ووصلت جيوشُ الرومِ إلى الشاطئِ الأيمنِ لنهرِ اليرموكِ وأصبحوا فى مواجهةِ المسلمينَ لا يفصلُ بينهم إلا النهرُ .

ووقع اختيارُ قادةِ الرومِ على الموقعِ الذى نزلوا فيه لأنهم رأوا فيه عدةَ ميزاتٍ دفاعيةٍ ؛ فنهرُ الأردن وبحيرةُ طبريةَ



يحميان جناحَ الجيشِ الأيمنَ ، ونهرُ اليرموكِ سيكونُ بينهم وبين المسلمينَ ، أما خلفُ الجيشِ فهو عمقُ الشامِ وهى جهةٌ مأمونةٌ يأتيهم منها المددُ .

أما الجناحُ الأيسرُ فقد ظنوا أنَّه فى مأمن من الأخطار نظرًا لقواتِهمُ الكبيرةِ التى تتفوقُ على المسلمينَ فهم يستطيعونَ دفع أعداد هائلة من جهةِ اليسار .

استطلعَ عمرو بنُ العاصِ المكانَ بخبرتهِ الحربيةِ ، ورأى أن تعبر جيوشُ المسلمينَ إلى الجانبِ الأيمنِ من نهرِ اليرموكِ ؛ لأنهم بذلك سوفَ يحصرونَ جيش الرومِ ويصبحُ ميدانُ القتالِ محددًا ومحصورًا من اتجاهين .

واستغلَّ المسلمونَ فرصة انشغالِ جندِ الرومِ بإعدادِ أماكنِ إقامتهم وعبروا النهرَ إلى



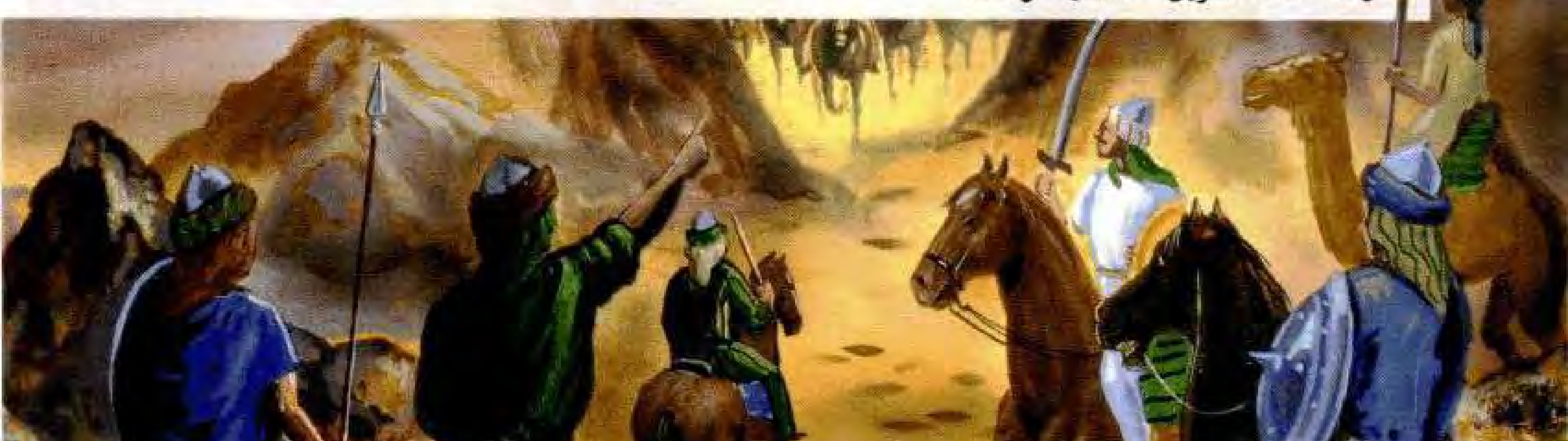
الجانب الأيمنِ وبعدما تمَّ العبورُ قال عمرو بنُ العاص : «أبشروا حصرت الرومُ وقلَّ ما جاء محصورٌ بخيرٍ» . أقام جيش الروم فى اليرموك أكثر من شهر يجمعُ المعلوماتَ عن عدد المسلمين وعدَّتهم ، وحاولوا أن يُرهِبوا المسلمين عن طريق الحرب النفسية بإظهار القوة العددية والمعدات العسكرية أمام المسلمين ، ولكنَّ حربَهم النفسيةَ لم تفلح، وبعد أن حاصرَهم المسلمون لمدة شهرين أحسَّ جنودُ الروم خلالهما بأن المسلمين لا

يرهبون ولا يخافُون من شيء . ولما تبين لهرقل ملك الروم حقيقةُ عـدد المسلمين ، قرَّرَ الدخولَ فى معركة تكون حاسمةً بينه وبين المسلمين ، وقد غرَّه كثرةُ عدد جنوده وكثرةُ عُدَدهم الحربية .

علمَ قادةُ جيوشِ المسلمينَ بما قرره هرقلُ ملكُ الروم فأرسلوا إلى الخليفةِ أبى بكرٍ يخبرُونه بذلك ويطلبون منهُ مدداً ، فقالَ الصديقُ : والله لأُنسِينَّ الرومَ وساوسَ الشيطان بخالد بنِ الوليد .

وكان خالدُ على رأسِ جيشٍ فى العراقِ يحاربُ الفرسَ فأرسلَ إليـهِ الخليفةُ أن يسيرَ بنصفِ جيشِهِ إلى الشامِ ، وأن يتركَ النصفَ تحت قيادة المثنى بنِ حارثةَ .

أحسَّ خالدُ بنُ الوليدَ من رسالة الخليفة أنَّ الأمرَ عاجلٌ جدا ، وعليه أن يتخذَ أقصرَ الطرقِ إلى اليرموك ، فـاستشارَ أصحـابَهُ ، فأخبـروهُ بأنَّ هناكَ طريقًا قـصيراً ولكنه صـعبٌ وليس بهِ ماءٌ ، فحـملَ خالدٌ ما يـكفيهِ من الطعـامِ والشرابِ وسلكَ هذا الطريقَ اختصاراً للوقت .





فرحَ المسلمونَ بقدومِ خالد بنِ الوليدِ إلى اليرموكِ ، وحزنَ الرومُ لمقدمه وأصيبوا بالفزعِ والإحباطِ لما سمعوهُ عنه وعن شجاعته وأنَّه سيفُ الله المسلولُ فأرسلوا إلى هرقلَ ملكِ الرومِ وأخبروهُ بذلك .

لما علمَ هرقلُ باجتماعِ قادة المسلمينَ فى اليرموكِ أمر قادتهُ بالاجتماعِ كما فعلَ المسلمونَ وجعلَ القيادةَ العامةَ لأخيه «تذارق» . لم يُضعْ خالدٌ الوقتَ فمن يومِ وصولِه إلى معسكرِ المسلمينَ وهو يدرسُ مواقعَ قواتِ العدوِّ وتنظيماته ، ويدرسُ أيضًا وضعَ خُطَّة حربية يستطيعُ بها القضاءَ على قواتِ العدوِّ الكبيرة .

وجدَ خالدٌ أنَّ أولَ أسبابِ النصرِ بعدَ توحيدِ الجيوشِ لتصبحَ جيشًا واحدًا هو توحيدُ قيادة هذه الجيوشِ ، فجمعَ قادةَ الجيوشِ وتشاورَ معهم فى أمرِ توحيدِ القيادة وأوضحَ لهم أنه إذا انتصرَ المسلمونَ على قوةِ الرومِ الهائلة فى المعركةِ المقبلةِ سوف يظلُّ الانتصارُ عليهم مستمراً ولن ينقطعَ وإذا انتصرَ الرومُ على المسلمينَ فلن يفلحَ المسلمون

بعد ذلك ، واقترحَ عليهم أن يتبادلُوا الإدارةَ فيما بينهم فيصبحُ كل قائد أميرًا على الجيشِ يومًا ، حتى يتولَّى جميعُ قوادِ الجيشِ الإمارةَ وأن يكونَ هو أميرَ الجيشِ فى اليومِ الأولِ . فوافقَ جميعُ القادةِ على رأى خالدِ بنِ الوليدِ .

وضعَ خالد بنُ الوليدِ نظامًا للجيشِ لم يسبقهُ إليهِ أحدٌ ، فقد قسَّمهُ إلى عدةِ كراديسَ (مجموعات) وصلَ عددُها (٣٨ كردوسًا) ، وجعلَ على كلِّ كردوسٍ قائدًا ماهرًا مثل : القعقاعِ بنِ عمرو ، وضرارِ بنِ الأزور ، وعكرمةَ بنِ أبى جهلٍ وغيرهم .

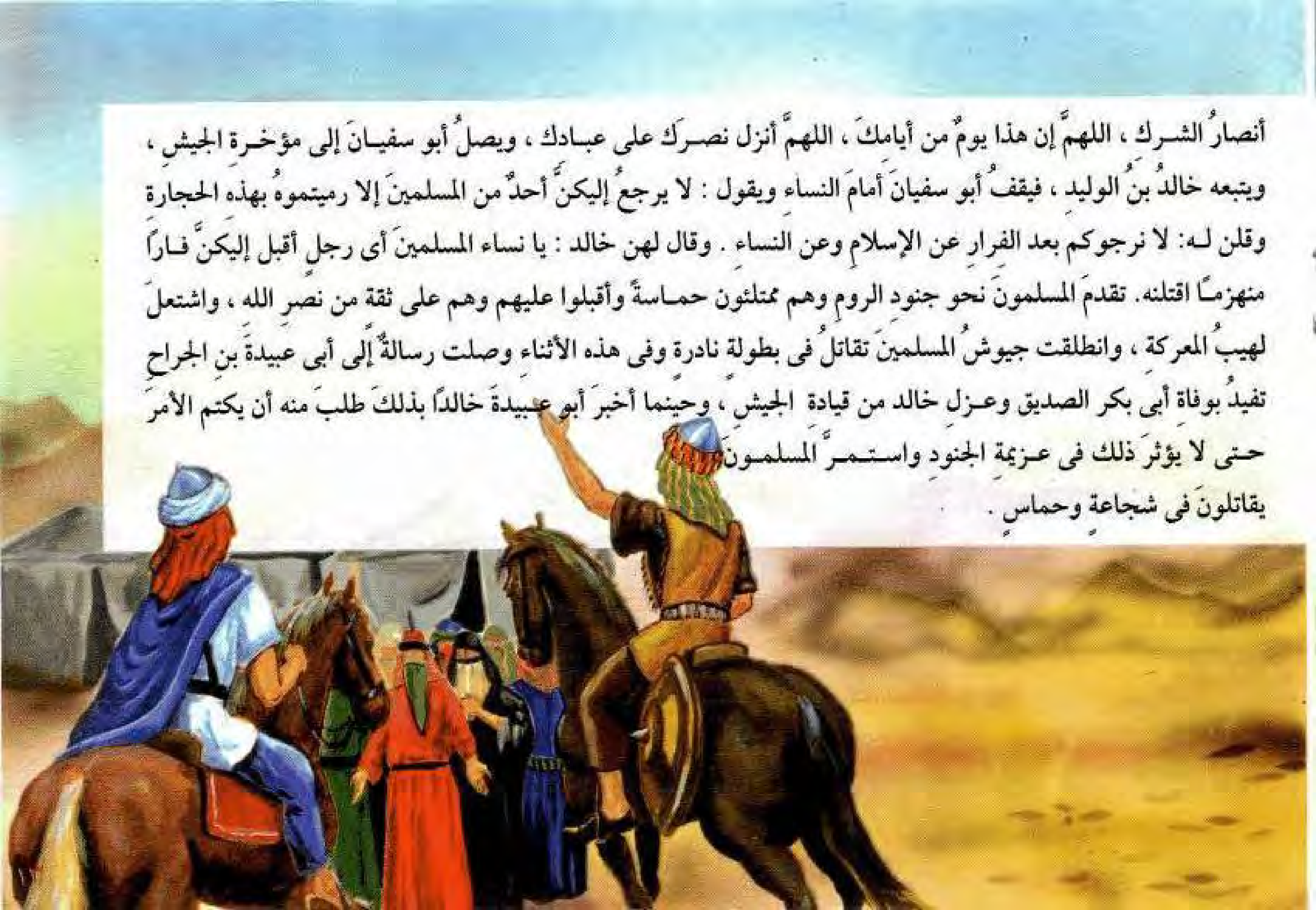
كما أمرَ خالدٌ كلَّ جندى أن يرتبطَ بقائدِهِ ، وقوادَ الكراديسِ يرتبطونَ بقائدِ الميمنةِ أو الميسرةِ ، وقوادَ الميمنةِ والميسرةِ يرتبطون بقائدِ الجيشِ وأميرِه .



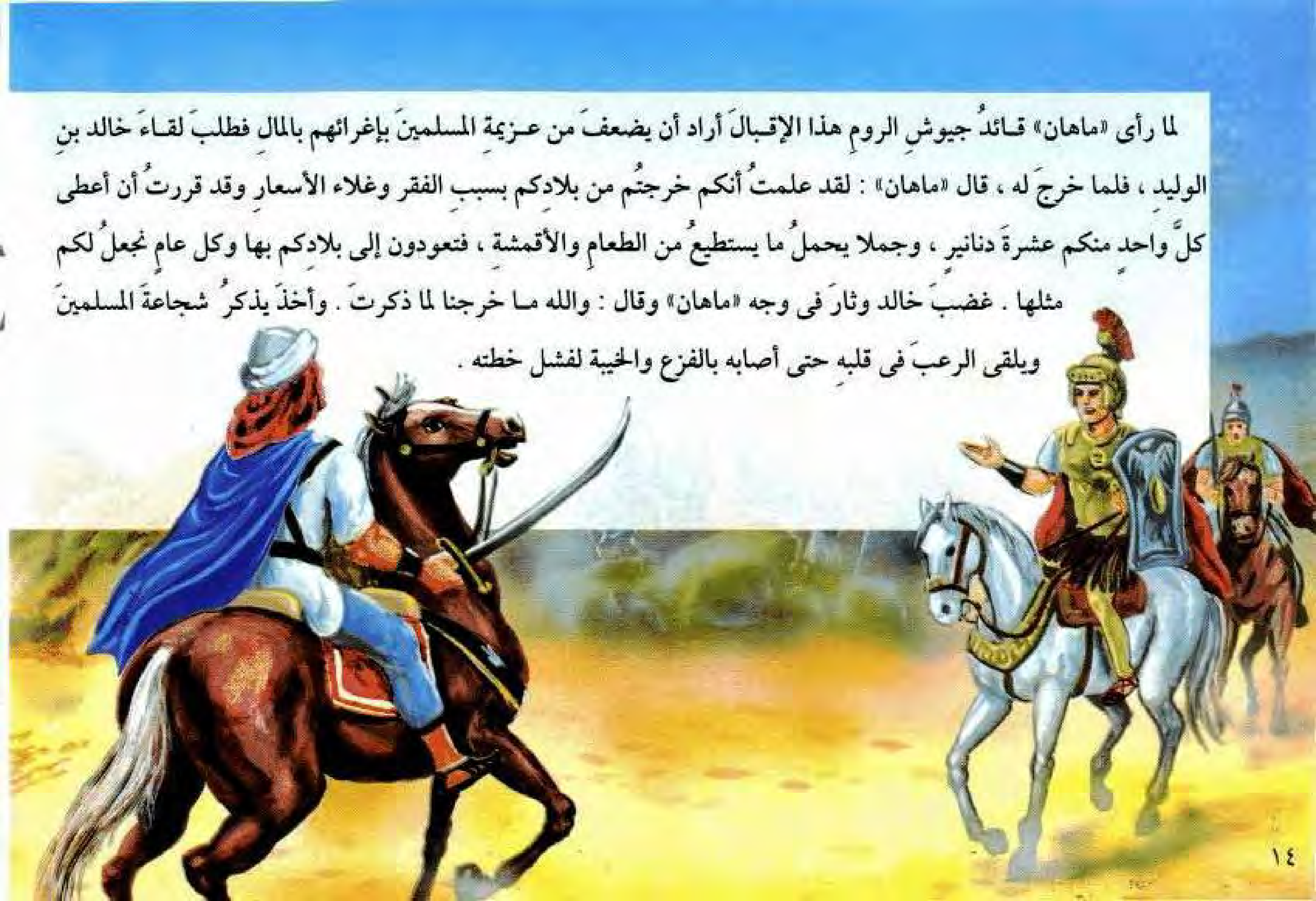


وجعلَ فى ميمنة الجيشِ عشرةَ كراديسَ ، وفى الميسرةِ عشرةً ، والباقى فى قلبِ الجيشِ أو فى وسطِهِ وجعل «عمرو بن العاص» على ميمنةِ الجيشِ ومعه شرحبيلُ بنُ حسنةٍ ، ويزيدُ بنُ أبى سفيانَ على الميسرةِ ، وأبا عبيدةَ بنُ الجراحِ فى القلبِ ، كما وضعَ النساءَ خلفَ الجيشِ .

وجد قادةُ المسلمينَ أن حركةً غيرَ عاديةٍ فى معسكرِ الرومِ فتوقعوا أنهم يستعدون للهجومِ عليهم بعدما دام حصارهم أكثر من شهرين ، فوزَّع خالد المهام على القادة وتأهبَ الجميعُ لحربِ الرومِ ، ووقف القادةُ وصحابةُ رسولِ الله ﷺ يبثون الحماسةَ فى الجنودِ ؛ فقالَ معاذ بن جبل : يا معشرَ المسلمينَ إن أعداءكم قد تهيئوا للحربِ ، ووالله لا يردُّهم إلا الصدقُ عند لقائهم ، والصبرُ عند حربهم ، ثم نزلَ عن فرسه وقال : من يريدُ فرساً يركبُه ويقاتلُ عليه ؟



أنصارُ الشـركِ ، اللهمَّ إن هذا يومٌ من أيامكَ ، اللهمَّ أنزل نصـركَ على عبـادك ، ويصلُ أبو سفيـانَ إلى مؤخـرةِ الجيشِ ، ويتبعه خالدُ بنُ الوليدِ ، فيقفُ أبو سفيانَ أمامَ النساءِ ويقول : لا يرجعُ إليكنَّ أحدٌ من المسلمينَ إلا رميتموهُ بهذه الحجارة وقلن لـه: لا نرجوكم بعد الفرارِ عن الإسلامِ وعن النساءِ . وقال لهن خالد : يا نساء المسلمينَ أى رجلٍ أقبل إليكنَّ فـاراً منهزمـاً اقتلنه. تقدمَ المسلمونَ نحو جنودِ الرومِ وهم ممتلئون حمـاسةً وأقبلوا عليهم وهم على ثقة من نصرِ الله ، واشتعلَ لهيبُ المعركة ، وانطلقت جيوشُ المسلمينَ تقاتلُ فى بطولةٍ نادرة وفى هذه الأثناءِ وصلت رسالةٌ إلى أبى عبيدةَ بنِ الجراحِ تفيدُ بوفاةِ أبى بكر الصديق وعـزلِ خالد من قيادة الجيشِ ، وحينما أخبرَ أبو عـبيدةَ خالداً بذلكَ طلبَ منه أن يكتم الأمرَ حتى لا يؤثرَ ذلك فى عـزيمةِ الجنودِ واسـتمـرَّ المسلمـونَ يقاتلونَ فى شجاعةٍ وحماسٍ .



لما رأى «ماهان» قائدُ جيوشِ الرومِ هذا الإقبالَ أراد أن يضعفَ من عزيمةِ المسلمينَ بإغرائهم بالمالِ فطلبَ لقاءَ خالد بنِ الوليد ، فلما خرجَ له ، قال «ماهان» : لقد علمتُ أنكم خرجتُم من بلادِكم بسببِ الفقر وغلاء الأسعارِ وقد قررتُ أن أعطى كلَّ واحدٍ منكم عشرةَ دنانير ، وجملا يحملُ ما يستطيعُ من الطعامِ والأقمشةِ ، فتعودون إلى بلادِكم بها وكل عامٍ نجعلُ لكم مثلها . غضبَ خالد وثارَ فى وجه «ماهان» وقال : والله ما خرجنا لما ذكرتَ . وأخذَ يذكرُ شجاعةَ المسلمينَ ويلقى الرعبَ فى قلبهِ حتى أصابه بالفزع والخيبة لفشل خطته .



حاولَ قادةُ الرومِ أن يجدوا حيلةً يكسرون بها قوةَ المسلمينَ ويزعزعون ثقتَهم بأنفسِهم ؛ فاقترحَ بعضُهم أن يرسلوا إلى القبائلِ المواليةِ للرومِ أن تقاتل المسلمين حتى ينشغلوا بهم فتتوزع قوتهم ويسهل القضاء عليهم ، وقد فكر خالدٌ فى هذا الأمرِ قبلَ أن يتفقَ قادةُ الرومِ عليه ، فقامت فرقةٌ إسلاميةٌ بالإغارةِ على هذه القبائل فهزمتهم ، واستطاعَ المسلمونَ أن يحبطوا خُطَّةَ الرومِ ويؤمِّنوا أنفسَهم من غدرِهم .

صمم «ماهان» على لقاءِ المسلمينَ بالسيفِ بعد فشلِ محاولاته السابقةِ ، فاندفع بجيشِه ناحيةَ ميمنةِ الجيشِ الإسلامى محاولا القضاء عليها ، وتصدى جنودُ المشاةِ لهجومِه الشرس ، ولكن التفوقَ العددى لجيشِ الرومِ جعلَ ميمنةَ الجيشِ تكادُ أن تتراجعَ ، ولكن ثبت المجاهدُ الحجاج بن عبد يغوث وقاتلهم بشراسةٍ وهو يصيحُ فى المسلمين يقوى عزيمتهم

وأثارَ ثباتُه وصياحُه العزيمةَ فى الجندِ فهجموا على جيشِ الرومِ .

وانطلقَ أبو هريرةَ يقاتلُ بشجاعةٍ نادرةٍ ، واستطاعَ الالتفافَ هو ومن معه حول جنودِ الرومِ ، واستمرَّ القتالُ بعنفٍ شديدٍ حتى اختلطَ جندُ ميمنةِ الجيشِ المسلمِ بجندِ القلبِ ، واستمرَّ القتالُ عنيفًا بين الطرفينِ .

وتندفع فرقة من جيشِ الرومِ بقيادةِ جرجة لتخترقَ ميسرةَ الجيشِ المسلمِ ليتم حصارُه من اليمينِ واليسارِ ، وينادى جرجة على خالد بن الوليد فيخرج إليه فيقول جرجة :

يا خالد اصدقنى القولَ فإن الحر لا يكذبُ ، ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع . هل أنزلَ اللهُ على نبيك سيفًا من السماءِ فأعطاه لك فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟





قال خالد : لا .

قال جرجة : فلم سميتَ بسيفِ الله ؟ !

قال خالد : لما أسلمتُ قال لى الـنبى ﷺ أنت سيفٌ من سيوفِ اللهِ سلَّه اللهُ على المشركينَ ، ودعا لى بالنصرِ ، فسميتُ سيفَ الله .

فقال جرجة : إلى أى شىءٍ تدعون ؟

قال خالد : إلى شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسولُ الله ، والإيمان بما جاءَ من عندِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

قالَ جرجة : ومن لم يجبكم فيما تدعونَ ؟

قال خالد : عليه دفعُ الجزيةِ .

قال جرجة : فإن لم يدفعها ؟

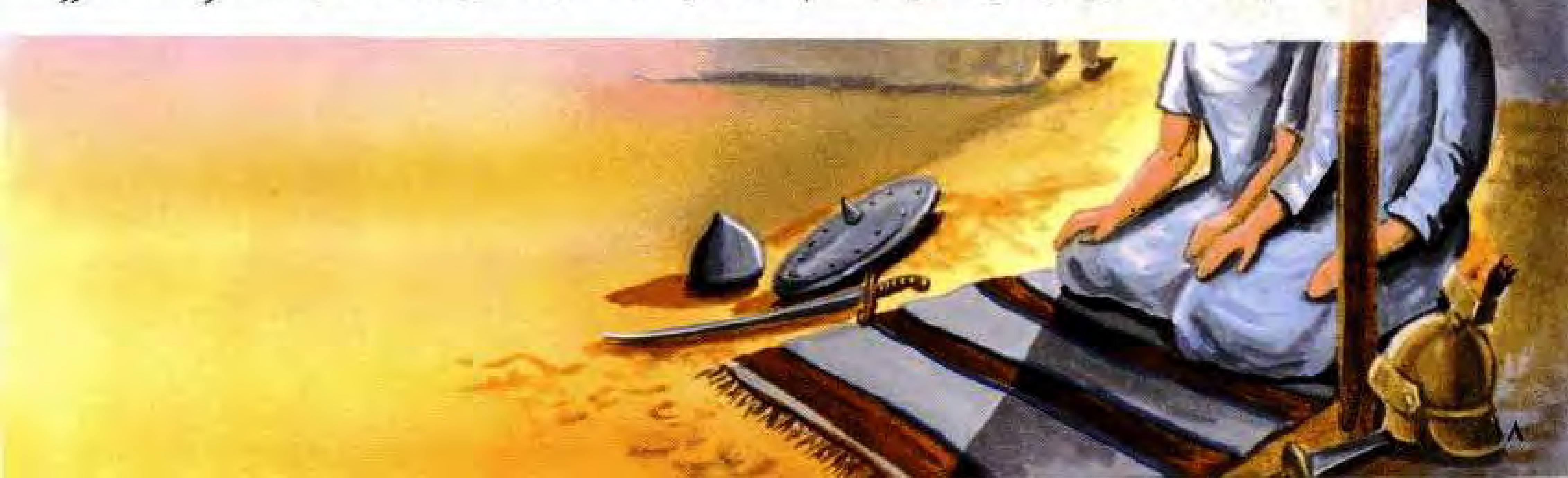
قال خالد : نعلمه أننا سنحاربُه ثم نقاتِلُه .

واستمر الحوارُ بين جرجة وخالد حتى قال جرجة :

وما هى منزلةُ من يدخلُ الإسلامَ ؟

قال خالد : منزلتُنا واحدةٌ فيما افترضَهُ اللهُ علينا ، لا فرقَ بين أميرٍ وأجيرٍ ، وغنى وفقيرٍ ، وأوَّلنا وآخرِنا .

فقال جرجةُ : وما هى منزلةُ من يدخلُ الإسلامَ الآنَ ، هل تكون منزلتُهُ مثل من سبقَ إلى الإسلامِ عند ظهورِهِ ؟





قال خالد : نعم وأفضلُ لأننا دخلنا الإسلامَ والنبيُّ ﷺ بيننا ويأتيه الوحيُ من السماءِ ، ويؤيدهُ الله بالمعجزاتِ فمن لم يسمع من النبى ﷺ ولم ير شيئًا من معجزاتِه ، ويدخلُ الإسلامَ بنيةٍ خالصةٍ كان أفضلُ ممن سبقَهُ .

أثر كلامُ خالد فى القائد الرومىِّ فقال لخالد : علمنى الإسلامَ . فأخذه خالد وأحضرَ له ماءً فاغتسلَ وتوضأ ، ونطقَ بالشهادتينِ وصلى خالد به ركعتينِ .

امتطى «جرجة» جوادَه ليقاتلَ مع المسلمينَ بعدما كان يقاتلهم ويخترق صفوفَ الرومِ يقتلُ فى جنودِهم بشجاعةٍ حتى يتكاثر عليه جند الروم فيستشهدُ وهو لم يصلِ للهِ غيرَ ركعتينِ .



يشتدُّ القتالُ فجأةً ، وينجحُ الرومُ فى اختراقِ الجناحينِ الأيمنِ والأيسرِ لجيشِ المسلمينَ ، وتقدمت قواتُهم لتطويقِ المسلمينَ، ويشعرُ القادةُ بالخطرِ فيتقدم سعيد بن زيد بقوةٍ بسيطةٍ استطاعتِ التصدى والصمودَ أمامَ قواتِ الرومِ ، وينضمُّ إلى هذه القوةِ يزيد بن أبى سفيان بقواتِه ، وشرحبيل بن حسنة بقواته . ويقفون أمام قواتِ الرومِ وقفةَ رجلٍ شجاعٍ، ولكن أمامَ قوةِ الرومِ اضطر الجيشُ الإسلامى إلى التراجع وكادَ أن ينكشفَ من القلبِ .

أدرك المسلمونَ خطورةَ الموقفِ فأقبلوا على القتالِ مضحينَ بأرواحهم وأنفسهم ، وكان خالد يصولُ ويجولُ فى مواقفَ بطولية من الميسرةِ إلى الميمنةِ ، فيشاهد بعض فرسانِ الرومِ يخترقونَ صفوفَ الجيشِ فيتقدمُ إليهم ويوقفُ تقدمَهم ، ويشاهدُ آخرين يخترقون الجناحَ الأيسرَ فيسرعُ إليهم ويوقفُ تقدمَهم



ويقتلُ منهم ستة آلاف فارس .

تراجعَ بعضُ جنودِ المسلمينَ إلى الخلفِ نتيجة الضغط المستمرِّ من جيشِ الرومِ واختراقِهم لصفوفِ المسلمينَ ، فقذفتهمُ النساءُ بالحجارةِ ليردوهم إلى ساحةِ المعركةِ وهن يقلنَ :

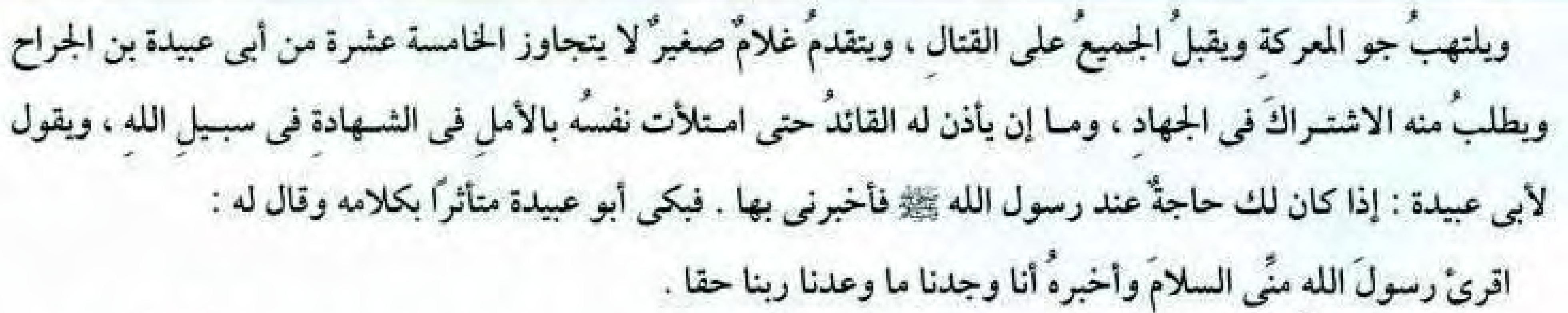
«أين عزُّ الإسلامِ والأمهاتِ والأزواجِ» ؟

ويصلُ بعضُ فرسانِ الرومِ حتى معسكرِ النساءِ ، واقتربوا من خيامِهِنَّ ، فتصدت لهم النساءُ وقذفتهم بالحجارةِ ، وانتزعَ بعضُهن أعمدةَ الخيامِ وقاتلنَ بها جنودَ الرومِ فقتلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام ستةً من الفرسان الواحد تلو الآخر ، وجرحت غيرهم ، وكان سلاحُها عمودَ خيمتِها .

ويلتهبُ جو المعركةِ ويقبلُ الجميعُ على القتالِ ، ويتقدمُ غلامٌ صغيرٌ لا يتجاوز الخامسة عشرة من أبى عبيدة بن الجراح ويطلبُ منه الاشتراكَ فى الجهادِ ، وما إن يأذن له القائدُ حتى امتلأت نفسُه بالأملِ فى الشهادةِ فى سبيلِ اللهِ ، ويقول لأبى عبيدة : إذا كان لك حاجةٌ عند رسول الله ﷺ فأخبرنى بها . فبكى أبو عبيدة متأثراً بكلامه وقال له :

اقرئ رسولَ اللهِ منِّى السلامَ وأخبرهُ أنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا .

ويندفعُ الغلامُ نحو صفوفِ الرومِ كالسهمِ ، ويخرجُ إليه قائد رومى ليوقف تقدمه ، فيقبل عليه الغلامُ ويفاجئه بضربةٍ قويةٍ أسقطته قتيلا من فوقِ جوادهِ ، واستمرَّ الغلامُ فى تقدمهِ حتى خرجَ قائدٌ ثانٍ فقتله الغلامُ ، فخرجَ له ثالثٌ ورابعٌ فقتلَهم ، ويلهب هذا حماسَ المسلمينَ





فيندفعون نحو صفوفِ العدوِّ ، وتقفُ جنودُ الرومِ فى ذهولٍ أمامَ شجاعةِ هذا الفتى حتى يخرجَ له قائدٌ خامسٌ فيتقدمُ نحو الغلامِ ويفاجئهُ بضربةٍ قويةٍ أسقطتهُ شهيدًا فى سبيلِ اللهِ لتتحقق أمنيتُهُ التى تمنَّاها .

وتزدادُ المعركةُ اشتعالا بين الجانبينِ ويسقطُ حاملُ الرايةِ عامرُ بنُ الطفيل الدوسى شهيدًا ، ويسرعُ ابنه جندب ليأخذَ الرايةَ قبل أن تقع ، ويتقدمُ إلى أبى عبيدةَ ويقول له : ادفع بهذه الرايةِ لأحدِ الجنودِ وأذن لى بالقتال ، فأذن له ، فأسرعَ فى سرعةِ البرقِ نحو قاتلِ أبيه وينادى عليه : اثبت يا جبلةُ ياقاتلَ أبى . فقال له جبلة : وما الذى دفعكم لقتلِ أنفسِكم والتضحية بأرواحكم ؟ قال جندب : حب الآخرةِ ،

فمن قُتل نالَ الشهادةَ ، وبلغ أعلى درجات



الجنة . قال جبلةمستهزئًا بصغر سنه : ارجع يابنى ، لا أريد قتلك .

فقال جندب : لن أرجعَ حتى أقتلك ، أو ألقى ربى شهيداً ، وتقدم نحوه يصارعُه ورأى جندُ الرومِ قوةَ جندب فخافوا أن يقتلَ جبلةَ فتكاثروا عليه ولكنه صمدَ أمامَهم وتقدم نحو جبلة وضربه ضربةً عنيفةً فتحملها جبلةُ وضربه ضربةً أسقطته شهيداً .

وكلما مرت دقيقة ازدادت المعركةُ اشتعالا ، وأخذت بشاراتُ النصرِ تلوح فى أرض المعركةِ فيهتفُ المسلمون الله أكبر، ويعلو صوتهم بالهتاف ، ويردد الوادى خلفهم ، فيسرى صدى الصوتِ فى قلوبِ المسلمينَ فيزيدهم شجاعةً وإقدامًا وأملا



فى النصر، ويسرى فى قلوبِ الرومِ فيحسون بالخوفِ والجبنِ، وأمام اشتعال المعركةِ رأت الروم أن تدفع بأعدادِها الكبيرةِ إلى ساحةِ المعركةِ، ويرى المسلمونَ تلك الجموعَ المقبلةَ، فيقبلون نحو الزبير بن العوام ويقولون له :

ألا تتقدم فنتقدم معك ، ويستجيبُ الزبيرُ ويتقدم نحو صفوفِ الرومِ ، ويرغمهم على التراجعِ وعلى تسلُّقِ الجبالِ والهرب من ساحةِ القتالِ بحثًا عن النجاة . وفى وهجِ المعركةِ يرى خالدٌ فارسًا قد خبأ وجهه يتقدم نحو صفوفِ الرومِ فى شجاعةٍ عاليةٍ ، فيفر الجميعُ أمامه كأنَّه نارٌ تحرقُهم ، ويرى خالدٌ هذا الفارسَ الملثم يقتلُ كل من يقابلهُ كأنَّه يحصدُ أعوادَ قمحٍ ، فتبعه خالدٌ والجنودُ خلفه واستطاعوا زعزعة كتائبِ العدوِّ ، وفجأةً يختفى الفارسُ عن الأنظار وسط جند الروم ثم يظهر فجأةً وقد تلطخت ثيابُه بدماءِ الرومِ .



وينادى خالدٌ في جموع المسلمينَ أن يساعدوا هذا الفارسَ المدافع عن دين الله ، ويسمعُ المسلمونَ كلامَ خالد ، فتنطلق الرماحُ والسيوفُ لتحصدَ رقابَ جند الروم ، والفارس الملثم يطوف بين الصفوف ليبعثر فى رقابِ الأعداءِ ، ويسأله خالدٌ من أنت ؟ فلا يجيبه إلا بقتلِ أعداء الله ، وأمام إصرار خالد يقول الفارسُ : أنا خولةُ بنتُ الأزور ولست فارسًا يا خالد .وعند ذلك ازدادَ حماسُ المسلمينَ بسبب هذه المجاهدة ، وتقدموا نحو صفوف الرومِ يقتلون كلَّ من يقابلهم . وظهر ذكاءُ خالدِ بنِ الوليدِ الحربى ، فأخذ يشن هجومًا على قلب جيش الروم ، ويسرع إلى مشاتهم فيضغطُ عليهم بالهجومِ ، ويسمع خالد صوت عكرمةَ بنِ أبى جهلٍ وهو ينادى ويقول :

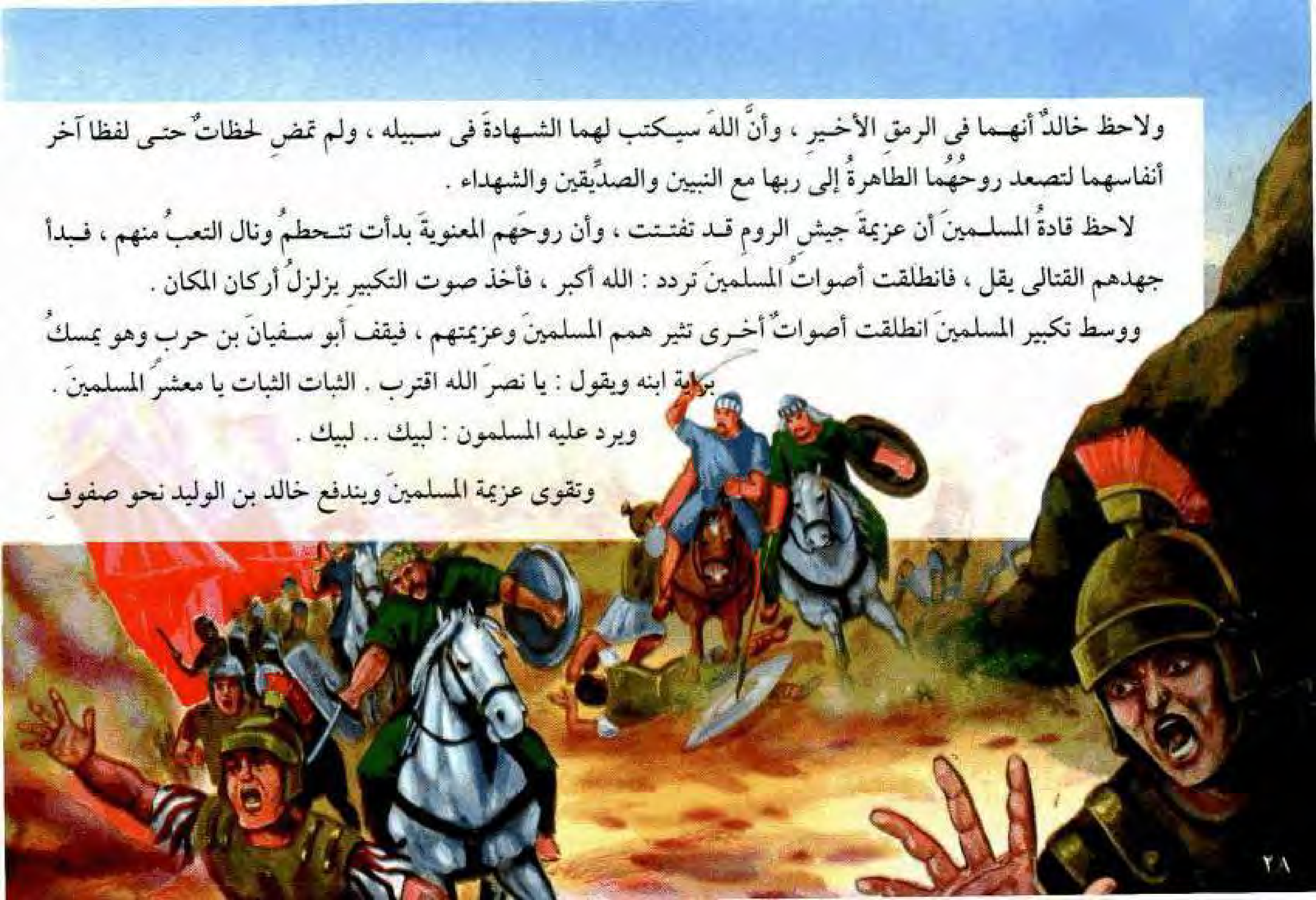
«يا معشرَ المسلمينَ من يبايع على الموت؟ »



ويتقدم أربعمائة فارسٍ مسلمٍ نحو عكرمةَ ويبايعونه على الموت ، وتسرع هذه الكتيبةُ المؤمنةُ نحو جنود العدو وهدفها واحد هو الشهادةُ فى سبيلِ الله تعالى وقتلُ جنودِ الشرك .

ورغم قلة عددِ أفراد الكتيبةِ إلا أنها أثارت الذعر والرعب فى قلوبِ الأعداء ، واستطاعت هذه الكتيبةُ أن تقتلَ الآلاف من جنودِ الرومِ بعدما سقط جميع أفرادها بين شهيدٍ وجريحٍ .

وينظرُ خالد بن الوليد أمامه فيرى بعض المسلمينَ يحملون عكرمةَ بنَ أبى جهلٍ وابنه عمراً ، وهما جرحى والدماءُ تنزف منهما فأسرع خالد إليهما ونزل من فوق جواده ، ووضع رأسيهما على ساقيه ، وأخذ يمسحُ الدمَ عن وجهيهما



ولاحظ خالدٌ أنهما في الرمقِ الأخيرِ ، وأنَّ اللهَ سيكتب لهما الشهادةَ في سبيله ، ولم تمضِ لحظاتٌ حتى لفظا آخر أنفاسهما لتصعد روحهما الطاهرةُ إلى ربها مع النبيين والصدِّيقين والشهداء .

لاحظ قادةُ المسلمينَ أن عزيمةَ جيشِ الروم قد تفتتت ، وأن روحهم المعنويةَ بدأت تتحطمُ ونال التعبُ منهم ، فبدأ جهدهم القتالى يقل ، فانطلقت أصواتُ المسلمينَ تردد : الله أكبر ، فأخذ صوت التكبير يزلزلُ أركان المكان .

ووسط تكبير المسلمينَ انطلقت أصواتٌ أخرى تثير همم المسلمينَ وعزيمتهم ، فيقف أبو سفيانَ بن حرب وهو يمسكُ براية ابنه ويقول : يا نصرَ الله اقترب . الثبات الثبات يا معشرَ المسلمينَ .

ويرد عليه المسلمون : لبيك .. لبيك .

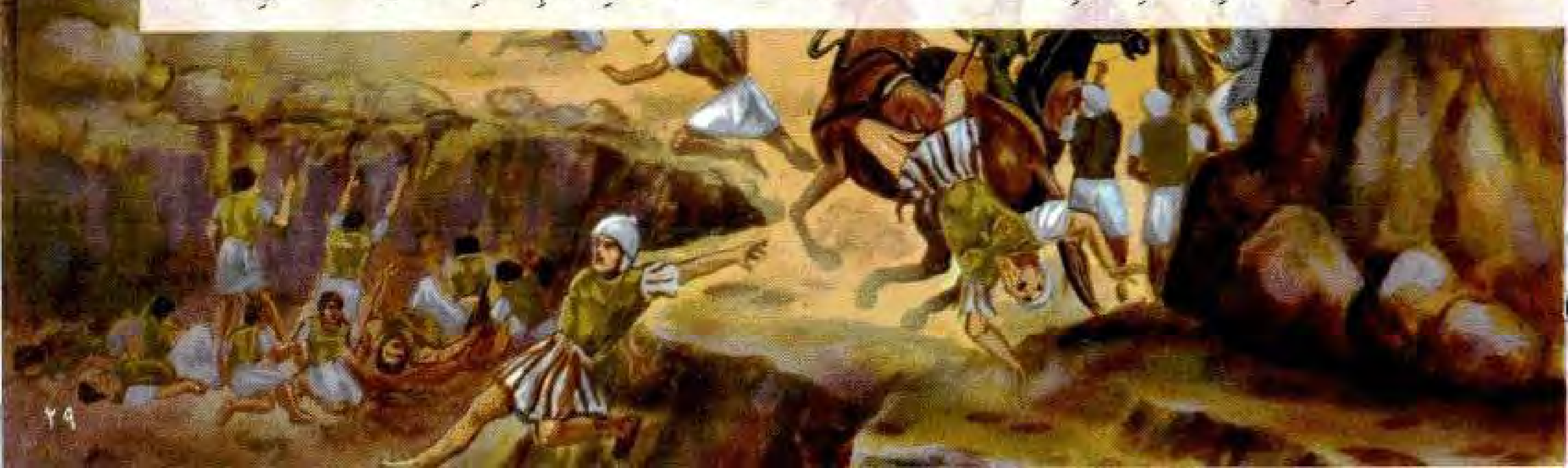
وتقوى عزيمة المسلمينَ ويندفع خالد بن الوليد نحو صفوفِ

الرومِ فارتدوا جميعًا . وأصبحَ زمامُ المعركةِ فى يدِ المسلمين.

فى سرعةٍ مذهلةٍ أعادَ خالد بن الوليد ترتيبَ صفوفِ الجيشِ وتنظيمَها ، ثم وضعَ خطةً حربيةً للقضاءِ على جيشِ الشركِ الذى بُدأت تلُوحُ عليه علاماتُ الهزيمة .

أمر خالد جنودَه ووزَّع قواته على شكلِ كمائن تحتلُّ المرتفعاتِ ، وتمتد هذه الكمائنُ حتى أطرافِ وادى اليرموكِ ، واندفع هو بمجموعةٍ صغيرةٍ داخل معسكر الروم ، واشتبك مع فرسانِهم ، ولما اشتد القتالُ تظاهر خالد بالفرار هو ومن معه ، فتبعه فرسانُ الرومِ ، وعندما ابتعد الفرسانُ عن المشاةِ خرجت الكمائنُ لتقضى على معظمهم ويلوذُ بعضهم بالفرار.

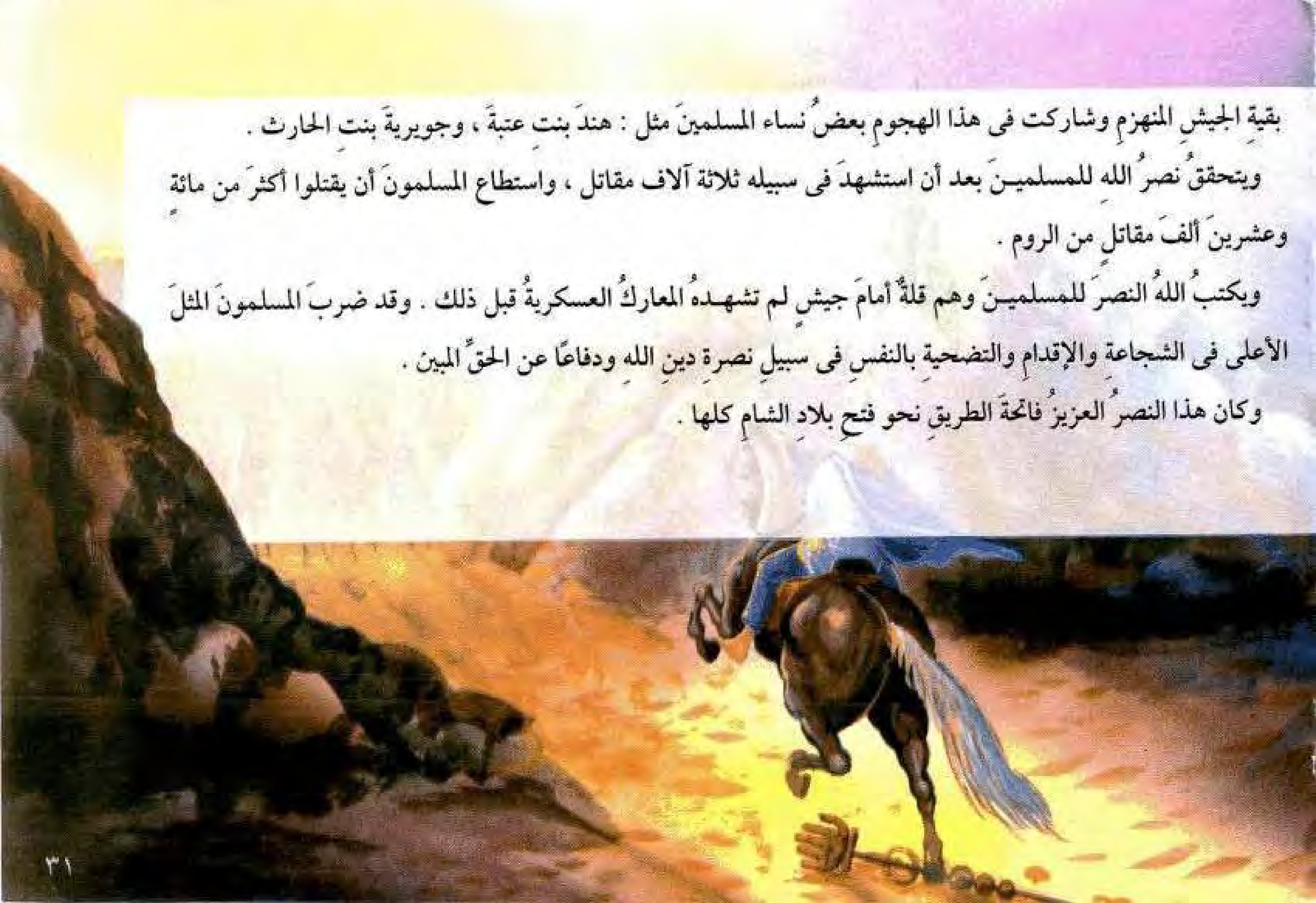
وبعد القضاءِ على معظمِ فرسانِ الرومِ اتجه المسلمونَ فى سرعة مذهلة نحو جنودِ الرومِ المشاةِ المقيدينَ بالسلاسلِ وكان





القضاءُ على واحدٍ منهم يجعلُ القضاءَ على بقيةِ العشرة سهلا ميسوراً ، وأخذ جنودُ الرومِ يتساقطون فى الهاوية التى حفروها ليمنعوا جنودَهم من الهربِ حتى سقطَ منهم فى زمنٍ قصيرٍ أكثرَ من ثمانينَ ألفًا ، ورأت المجموعاتُ الباقيةُ أن السبيل إلى نجاتها هو الفرارُ من أرضِ المعركةِ .

ويأتى الليلُ فيعم الظلامُ ساحةَ المعركةِ فيتوقفُ الطرفانِ عن القتالِ ، وبات المسلمونَ يعبدون اللهَ ويدعونَه أن يكمل لهم النصرَ على جنودِ الروم .وأحس المسلمونَ أن حركةً لا تتوقف فى معسكرِ العدوِّ ، وتبينوا أنهم فضلوا الانسحابَ تحت جنحِ الظلامِ. وأشرقت شمسُ اليومِ التالى قبلَ أن يكمل جيشُ الرومِ انسحابَه،فأصدرَ خالدٌ أوامره إلى الجيشِ أن يقومَ بهجومٍ أخيرٍ فاندفعوا مثل الأسودِ على



بقيةِ الجيشِ المنهزمِ وشاركت فى هذا الهجومِ بعضُ نساء المسلمينَ مثل : هندَ بنتِ عتبةَ ، وجويريةَ بنتِ الحارث .

ويتحققُ نصرُ اللهِ للمسلمينَ بعد أن استشهدَ فى سبيله ثلاثة آلاف مقاتل ، واستطاع المسلمونَ أن يقتلوا أكثرَ من مائةٍ وعشرينَ ألفَ مقاتلٍ من الروم .

ويكتبُ اللهُ النصرَ للمسلمينَ وهم قلةٌ أمامَ جيشٍ لم تشهدهُ المعاركُ العسكريةُ قبل ذلك . وقد ضربَ المسلمونَ المثلَ الأعلى فى الشجاعةِ والإقدامِ والتضحيةِ بالنفسِ فى سبيلِ نصرةِ دينِ اللهِ ودفاعًا عن الحقِّ المبين .

وكان هذا النصرُ العزيزُ فاتحةَ الطريقِ نحو فتحِ بلادِ الشامِ كلها .



رقم الإيداع : ٥٧١٦ / ٩٧ الترقيم الدولي : ISBN: 977 - 261 - 544 - 4